مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا – مخبر التاريخ والحضارة والجغرافيا التطبيقية
– المدرسة العليا للأساتذة الشيخ مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي الجزائري – بوزريعة – الجزائر
ISSN: 1112 - 9573 EISSN: 2602 - 6325

المجلد: 11 العدد: 02 السنة: 2022 صفحات المقال: 32 - 54

مظاهر إنصاف الذهبي لأهل الفِرَق والمذاهب
من خلال كتابه " تاريخ الإسلام "

Aspcts de l'objectivité d'Eddahabi dans la critique des gens des sects à travers son livre L'istoire de L'islam

مختار حديد
المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة - الجزائر
mansouriamalika@gmail.com

تاريخ الإرسال: 27 / 03 / 2021	تاريخ القبول: 24 / 12 / 2022	تاريخ النشر: 31 / 12 / 2022

الملخص:

يُعدّ "تاريخ الإسلام" للحافظ الذهبي من أبرز مصادر التاريخ الإسلامي، أرَّخ فيه المُصنِّف للفترة الممتدة من السنة الأولى للهجرة حتى سنة 700هـ/ 1300م، وقد تطرّق للحوادث بإيجاز وفصَّل في التراجم أيَّما تفصيل. وحرص على نَقْد واستنكار الانحرافات العَقَدية والفكرية والسلوكية، لكنَّه مع ذلك حرص على إنصاف أهل الفِرَق؛ فلم يكتف – مثلا– بذِكْر المثالب في تراجم الشيعة، ونقل اختلاف أقوال علماء الحديث في بعض رواتهم، واهتمّ بمراعاة طبيعة التشيّع، واستنكر بعض مظاهر ردّ أهل السنة في بغداد على الإثني عشرية. ولم ينسب الذهبي إلى أهل الفِرَق ما لا تتضمّنه مقالاتهم. ورغم شدّة تحذيره من المعتزلة فإنه لم يُغفِل الإلمام بكافّة جوانب تراجمهم، ونجد ذلك أيضا في تراجم الأشاعرة. كما لم يجعل الصوفية في منزلة واحدة نظرا لتباين طبيعة التصوُّف، واهتمّ بالتنبيه على انحرافاتهم. ونقل توثيق المُحقّقين لرواة من القدَرية مع استنكاره مقالة هؤلاء. وكلّ ما تقدّم يدلُّ على تحرّيه الإنصاف.

الكلمات المفتاحية: الذهبي، الفرق، المذاهب، تاريخ الإسلام، المعتزلة، الشيعة، الصوفية.

مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا – مخبر التاريخ والحضارة والجغرافيا التطبيقية
– المدرسة العليا للأساتذة الشيخ مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي الجزائري – بوزريعة – الجزائر
ISSN: 1112 - 9573 EISSN: 2602 - 6325

Résumé:

L'historiographie chez les musulmans est influencé par plus uns facteurs et les historiographes ont cherché la droiture, comme un exemple illustratif ou évoque « Eddahabi » qui s'interessait de nier toute derive doctrinale ou intellectuelle, il s'interesait encore à rendre justice aux groupes qui avaient raison, les traductions de « l'istoire de l'Islame » la clairement montré. En effet il ne se contentait pas dévoqué les mensonges dans les livres chiites et tramsmettre les differents dires des critiques en se qui concerne mepartie. Sans negliger la nature du chiisme, il a meme dénoncé quelques reponses des sunites à baghdad concernant les derives des chiites.

Il n'a pas atribué aux gens des doctrines ce que les doctrines ne comprend pas. Malgré sa critique pour les Ashaàri et les Mu'tazilites mais il n'a pas negligé de tout savoir concernant leurs livres. Il a surtout averti des derivations des soufistes, mais sans que ceci soit dans la totalité de cette doctrine, car il reconnait qu'ils ne sont pas tous porteurs des memes idées à cause de la nature du soufisme, il a encore sigualé que ce n'est pas juste tout ce qu'on dit à propos d'eux. Ainsi – et dans la totalité – Eddahabi rest un historiographe critique objectif, droit et chercheur.

Les mots clés : Eddahabi; Chiite, Soufisme, Mu'tazilites, Doctrine.

مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا – مخبر التاريخ والحضارة والجغرافيا التطبيقية
– المدرسة العليا للأساتذة الشيخ مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي الجزائري – بوزريعة – الجزائر
ISSN: 1112 - 9573 EISSN: 2602 - 6325

المجلد: 11 العدد: 02 السنة: 2022 صفحات المقال: 32 - 54

المقدّمة:

تأثّرت الكتابة التاريخية عند المسلمين بعدَّة عوامل منها مذاهب المؤرّخين، وازداد التدوين التاريخي تنوّعا خلال القرون الأخيرة من العصر الإسلامي؛ فمِنَ المؤرّخين من سلك سبيل التاريخ الحَولي، ومنهم من أرَّخ حسب الطبقات، واهتمّ بعضهم بالتراجم العامة، و أرَّخ آخرون لبعض الدول والأمصار. ومن أبرز مؤرّخي القرن (8هـ/14م) الحافظ شمس الدين الذهبي، وقد صنَّف عدّة كتب منها التاريخ الكبير أو" تاريخ الإسلام" الذي يُعدّ من أشمل المصادر، وتعدّدت فيه مظاهر إنصاف الذهبي لأهل الفِرَق و المذاهب؛ فما أبرز هذه المظاهر؟ وهل يمكن القول أنها تزيد من أهمية هذا المصدر؟

1- التعريف بالذهبي وكتابه " تاريخ الاسلام ":

هو المؤرّخ المُحدّث الحافظ المُحقّق الشهير شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الأصل الذهبي الدمشقي الشافعي، عُرف بالذهبي نسبة إلى "صَنْعة الذهب" التي اشتغل فيها أبوه. وُلد سنة 673 هـ / 1274م، ونشأ في دمشق، وسمع (الحديث) فيها وارتحل فسمع ببعلبك وحِمص وحماة وحلب وطرابلس ونابلس والقاهرة والإسكندرية سنة 695 هـ / 1295م والحِجاز سنة 698 هـ / 1298م والقدس وغيرها. وفي سنة 703 هـ / 1303م ولي الخطابة بمسجد كَفر بطنا وهي قرية قريبة من دمشق، وظل مقيما بها إلى سنة 718 هـ / 1318م، وفيها ألّف " تاريخ الإسلام". كما درَّس الحديث في دمشق، وصنّف تصانيف كثيرة منها التاريخ الكبير " تاريخ الإسلام" و "طبقات الحُفاظ" و "ميزان الاعتدال في نَقْد الرجال" و "سِيَر أعلام النبلاء" و "المُعجم المختص بالمُحدِّثين". وكانت وفاته بدمشق في ذي القعدة سنة 748هـ / 1347م. [1].

ويُعدُّ كتاب " تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام" من أشهر كتب التاريخ. تطرّق الذهبي فيه للحوادث و التراجم ابتداء من السنة الأولى للهجرة حتى سنة 700هـ / 1300م، ووضع خطة عامّة للكتاب، قسّمه بموجبها إلى وحدات زمنية أمدها عشر سنوات أطلق عليها لفظ " الطبقة ". وبدأ في حديثه عن كلِّ طبقة بذِكْر حوادث كلِّ سنة من سنواتها، ثم ينتقل إلى التراجم حيث كان تركيزه عليها جليّا[2]. ونشير إلى أنّ الذهبي كان في جانب العقيدة من أهل الحديث[3] وفي الجانب الفقهي كان شافعيا.

2- مظاهر إنصاف الذهبي للشيعة:

تضمّن "تاريخ الإسلام" معطيات كثيرة تُبيِّن مواقف الذهبي من الشيعة ؛ فقد حرص على التنبيه على انحرافاتهم العَقَدية والفكرية والسلوكية ونقْدها وبيان بطلانها والتحذير منها، فهو من أَحْرص المؤرخين على استنكار الانحرافات المذهبية وإيضاح انعكاساتها على تاريخ الأمة.

وفي تاريخه أمثلة كثيرة جدّا تدلّ على ما ذكرنا، لكنّه مع ذلك اهتمّ بإنصاف أهل المذاهب؛ فقد نبَّه – مثلا- في مواضع كثيرة على تشيُّع بعض الأعلام الذين ترجم لهم، غير أنّه لم يكتف بذِكر المَثالب في تراجمهم مثل قوله بشأن قيس بن عَبّاد البصري (ت بعد81هـ/700م): "... وكان كثير العبادة والغزو ولكنّه شيعي، وقد رحل إلى المدينة وصلّى مع عمر"(الخليفة الراشد). وقوله في ترجمة عبد المَلِك بن أَعْيَن الشيباني الكوفي(ت بعد121هـ / 739):"... وهو صادقٌ في الحديث، لكنَّه من غُلاة الرافِضة[4]...". وقوله عن يزيد بن أبي زياد الكوفي (ت136هـ/ 753م):"وكان مُحدِّثا مُكثِرا شيعيا... قيل: "...كان صدوقا في نفسه سيِّئ الحِفظ."[5].

مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا – مخبر التاريخ والحضارة والجغرافيا التطبيقية
– المدرسة العليا للأساتذة الشيخ مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي الجزائري – بوزريعة – الجزائر
ISSN: 1112 - 9573 EISSN: 2602 - 6325
المجلد: 11 العدد: 02 السنة: 2022 صفحات المقال: 32 - 54

كما ذكر أنّ الإمام أحمد قال عن المُحدِّث علي بن بذيمة الجَـزْري (ت136 هـ / 753م): "صالح الحديث، رأسٌ في التشيّع ". وقال الذهبي في ترجمة الأخباري محمد بن السائب بـن بِشْـر الكَلْبي الكوفي (ت 146 هـ / 763م): "... الأخباري العلاّمة، صاحب التفسير ....، وقد اتُّهِـم بالأخوين: الكذب والرَّفْض، وهو آية في التفسير، واسع العلم على ضـعفه. " ثم وصـفه بـ "التالِف" ، أي أنّه ليس بثِـقة وذكر بعض ما نُـقِل من انحرافاته؛ منها قوله أنّ جبريل " كـان ... يوحي إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقام لحاجة، وجلس عليّ فـأوحى جبريـل إلى علـيّ. "ووصف (الذهبي) المُحدِّث أبا عـبد الله عمرو بن شَمِر الكوفي (ت157 هـ /774م) بـ" العابد الرافِضي" كما أشار إلى أنّ الأخباري أبا المنذر هشام بن محمد بن السائب الكَلْـبي (ت204 هـ / 814م) مع فَرْط ذكائه " لم يكن ثقة، و فيه رَفْضٌ". (6)

وممّا يدلُّ على تحرّي الذهبي الإنصاف في تراجمه لأعلام الشيعة نقله اختلاف علماء الحـديث في بعض رواتهم؛ فقال في ترجمة جعفر بن زياد الأحمـر الكـوفي (ت167 هـ / 783م): "... قيل: كان من صالِحِي الشيعة...، وقال ابن حبّان (الحافظ محمد بن حبان التميمي ت 354 هـ / 965م): "في النفس منه." و قال أبو داود السِّجستاني: " صدوق"، و قيل أنّـه " مائـلٌ عـن الطريق." وذكر المُصنِّف أنّ المُحدّث سليمان بن قرم الكوفي (ت بعد 161هـ / 778م) " كوفيٌّ صالح الحديث." ثم قال : " وهو شيعي مُفْرِط ضعَّفه ابن مَعين...، وقال أحمد بن حنبل: لا أرى به بأسا، لكنّه يُفرِط في التشيُّع." كما نقل الذهبي اختلاف العلماء في الراوي عبد الجبار بن العبـاس الكوفي (ت بعد 160 هـ / 777م)؛ فأشار إلى قول أحمد بن حنبل: " أرجو أنّه لا بـأس بـه، كان يتـشيَّع." و قول ابن حبّان: " كان غاليا في التشيُّع". وقول ابن مَعين: " ليس به بأس." ونبّه في ترجمة المُحدِّث أبي عبد الرحمان فُضَيل بن مرزوق الكوفي (ت170 هـ / 786ه) إلى أنّـه " شيعيّ غير رافِضي." (أي لا يطعن في الصحابة). وذكر أنّ المُحدِّث أبا سليمان جعفر بن سـليمان

البصري (ت178 هـ / 794م) كان "من عُـبّاد الشيعة و صالِحيهم." ثم نقل خبرا يتضـمّن بغض المُحدّث المذكور لأبي بكر وعمر (رضي الله عنهما)، وعلّق الذهبي على ذلك بقولـه: " وفي صحّة هذه عنه نَظَرٌ، فإنّه لم يكن رافِضيا، حاشاه." ثم أشار إلى أنّ ابن مَعين قد وثّـقه، وأنّ بعض العلماء قالوا: " فيه ضَعْف." وقال الذهبي عن المُحدِّث أبي زياد إسماعيل بن زكريا الكـوفي (ت 173هـ / 789م): " صدوق يتشيَّع، اختلف قول يحيى بن مَعين فيه، فمرّة قال: ضـعيف، ومرّة وثّـقه ... وقال أحمد بن حنبل:... ليس ينشرح الصدر له...". (7)

ونجد نماذج أخرى كثيرة تدلُّ على تحرِّي الذهبي للإنصاف في تراجمه لمُحَدِّثي الشيعة، ومراعاته لتباين طبيعة التشيّع، أي الاختلاف في درجة الانحراف العَقَـدي؛ فقال في ترجمة منصور بـن أبي الأسود الكوفي (ت بعد 171 هـ / 787م) : " قال ابن مَعين: ليس به بأسٌ، كان من الشـيعة الكِبار." وقال في ترجمة أبي الحسن علي بن هاشم بن البريد الكـوفي (ت 181 هـ / 797م): "كان شيعيا بغيضا." و قال: " وثّـقه ابن مَعين...، وقال ابن حبّان: روى المناكير عن المشاهير." وذكر في ترجمة أبي عبد الله سَلَمة بن الفَضْل الرازي (ت196 هـ / 812 م) أنّ ابن مَعين قـال: "كان يتشيَّع"، وأنّه قد وثّـقه، وأنّ البُخاري قال: " عنده مناكير." كما ذكر في ترجمة أبي عبـد الرحمان محمد بن فُضَيل بن غـزوان الكوفي(ت195 هـ / 811م) أنّ ابن مَعين قـد وثّـقه، وأشار الذهبي إلى أنّه كان يترضّى على أبي بكر وعمر(رضي الله عنهما)، لكنّه نقل خبرا يتضـمّن عدم ترضّي ابن فُضَيل على عثمان (رضي الله عنه). وذكر في ترجمة أبي بكر يونس بن بُكير بـن واصل الشيباني الكوفي (ت 199 هـ / 814 م) أنّ ابن مَعين قـد وثَّـقه، وأنّ أبـا داود السِّجستاني قال: "ليس بحُجَّة عندي"، ثم قال الذهبي: "وممّا يُنقَـم عليه التشيّع."(8)

مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا – مخبر التاريخ والحضارة والجغرافيا التطبيقية
– المدرسة العليا للأساتذة الشيخ مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي الجزائري – بوزريعة – الجزائر
ISSN: 1112 - 9573 EISSN: 2602 - 6325
المجلد: 11 العدد: 02 السنة: 2022 صفحات المقال: 32 - 54

وأورد الذهبي كذلك في بعض تراجم أعلام القرن (3 هـ / 9م) أقوال متعـدّدة للعلمـاء في بعض رواة الشيعة؛ فقال في ترجمة المُحدِّث أبي الحسن علي بن الجَعْد بن عُبَيد الجوهري البغـدادي (ت 236 هـ / 850 م): " قال ابن معين:...هو ثِـقة صدوق." وقال "عبد الله بن أحمد بـن حنبل:... نهاني أبي أنْ أذهب إليه، وكان يبلغه عنه أنّه يتناول الصحابة." وذكر في ترجمة المُحدِّث عمرو بن حمّاد بن طلحة الكوفي (ت222 هـ /837 م) أنّ أبا حاتم (الحافظ الشهير أبو حـاتم محمد بن إدريس بن المنذر الرازي ت 277 هـ / 890م) قال عنه: "صـدوق"، وأنّ أبـا داود السِّجستاني قال: "كان من الرافِضة." وذكر أنّ المُحدِّث إسماعيل بن موسـى الفـزاري الكـوفي (ت245 هـ / 859 م) " ثـقة شيعيّ ... وقيل: أنّه كان يغلو و يسبُّ. " كما أشار(الذهبي) إلى أنّ عبد السلام بن صالح بن سليمان النَّيْسابوري المعروف بأبي الصّلت (ت236ه/ 850 م) " كان موصوفا بالزُّهْـد و التألّه...، وسُئل "ابن مَعين عنه " فقال: "ما أعرفه بالكذب...، وقال أبو حاتم: لم يكن عندي بصدوق...، وقال الدارقُطني[9] : " كان رافِضيا...". وأشار في ترجمـة أحمد بن المُفضّل القُـرَشي الكوفي (ت215 هـ /830 م) إلى أنّه " كان صدوقا مـن رؤسـاء الشيعة." وأشار كذلك في ترجمة المُحدِّث خالد بن مخلد الكـوفي (ت 213 هـ / 828 م) إلى قول ابن مَعين: " ما به بأسٌ"، و قول أبي داود السِّجستاني:"... صدوق لكنّه يتشيَّع. " كما قـال في ترجمة المُحدِّث عبد الرحمان بن صالح الكوفي نزيل بغداد (ت 235 هـ / 849 م):"... وكان أحد من عني بالأثر"، وذكر قول ابن مَعين:"... ثِـقةٌ صدوقٌ شيعيٌّ، لأن يَخِرّ من السـماء أحبّ إليه من أنْ يكذب في نصف حرف." ثم ذكر قول أبي داود: " كان رجل سـوء، وضـع كتاب مَثالب في الصحابة." [10].

ISSN: 1112 - 9573 EISSN: 2602 - 6325

وتطرّق الذهبي في ذِكْره حوادث سنة 211 هـ / 826 م إلى ما أمر به الخليفة العباسي المأمون " بأن يُنادى: برِئت الذِّمة ممّن ذكر مُعاوية بخَيْر أو فضّله على أحدٍ من الصحابة، وأنّ أفضل الخَلْق بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم علي بن أبي طالب رضي الله عنه." ثم علّق على ذلك بما يدلّ على الإنصاف فقال: " وكان المأمون يُبالغ في التشيّع، ولكن لم يتكلّم في " أبي بكر وعمر " بسوء، بل كان يترضّى عنهما ويعتقد إمامتهما." (11)

ولئن كان الذهبي قد حرص على نَقْد مقالات الشيعة فإنّه اهتمّ كذلك بوعظهم في تعاليق قيِّمة ضمن كثير من التراجم؛ ومنها ترجمة المُحدِّث عبّاد بن يعقوب الكوفي الشيعي (ت250هـ/ 864 م)، إذْ نقل قوله: "من لم يتبرّأ في صلاته كلّ يوم من أعداء آل محمّد صلّى الله عليه و سلّم حَشَره الله معهم." ثمّ علّق الذهبي بقوله: "... فإنّ آل محمد عليه السلام قد عادى بعضهم بعضا على المُلْك، كآل العبّاس وآل عليّ، و إنْ تبرّأت من آل العبّاس لأجل آل علي فقد تبرّأت من آل محمد، و إن تبرّأت من آل عليّ لأجل آل العباس فقد تبرّأت من آل محمد، وإنْ تبرّأت من الظالم منهما للآخر، فقد يكون الظالم عَلَويا ... فكيف أَبْرَأ منه ؟ و إنْ قلت: ليس في آل عليٍّ ظالم، فهو دعوى العِصْمة فيهم، وقد ظلم بعضهم بعضا فبالله اسكتوا حتى نسكت، وقولوا:" ربَّنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان." وأشار في إحدى التراجم إلى قاعدة هامّة في نَقْد الرواة فقال:"... والكوفي لا يُسمَع قوله في الأُمَوي." لأنَّ كثيرا من الرواة الكوفيين كانوا شيعة أو متأثّرين بالتشيُّع. (12)

ونجد في تراجم القرن (4 هـ / 10م) ما يدلّ على إلمام الذهبي بكافة جوانب الترجمة؛ فمن تراجم الشيعة الدالّة على ذلك ترجمة المُحدِّث أحمد بن محمد بن سعيد بن عبد الرحمان الكوفي المعروف بابن عقدة (ت 332 هـ / 943 م)؛ حيث قال الذهبي:"... وكان حافظا كبيرا." وذكر أنّه نقل قول سفيان الثوري: "لا يجتمع حبُّ عليٍّ وعثمان إلاّ في قلوب نُبَلاء الرِّجال."

مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا – مخبر التاريخ والحضارة والجغرافيا التطبيقية
– المدرسة العليا للأساتذة الشيخ مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي الجزائري – بوزريعة – الجزائر
ISSN: 1112 - 9573 EISSN: 2602 - 6325

المجلد: 11 العدد: 02 السنة: 2022 صفحات المقال: 32 - 54

وعلّق الذهبي بقوله: "ما يُملي ابن عـــقدة مثل هذه إلاّ وأمره في التشيُّع متوسِّط." وذكر – مـــن جهة أخرى– قول الدارقُطني عنه: " حافظٌ مُحَدِّثٌ، و لم يكن في الدين بقويّ..."، وقول أحـــد المُحَدِّثين: " كان ... يُملي مثالب الصحابة." وقال الذهبي: " وكلُّ أحـــدٍ يخضـــع لحفـــظ ابـــن عـــقـــدة ولكنَّه ضعيف." كما ذكر أنّ محمد بن المُفجع بن محمد بن عبد الله البصري النحـــوي (ت 320هـ / 932 م) كان من " كبار النُّحاة ... وكان شاعرا مُفلقا و شيعيا متحرّقا." وأشار في ترجمة المُحدِّث محمد بن عمر بن محمد التميمي البغدادي المعروف بابن الجعابي (ت355 هـ / 966م) إلى أنّه كان " حافظ زمانه ... وتشيّعه مشهورٌ."[13]

ولّما تطرَّق المُصنِّف لترجمة الأمير سيف الدولة علي بـــن عبـــد الله بـــن حمـــدون الحمـــداني (ت356هـ/967م) ذكر شجاعته وكثرة محاربته للروم، وذكر من جهة أخرى أنّه كان شيعيا " مِفْضالا على الشيعة ..." كما ذكر في ترجمة السلطان البُويهي عَـــضُد الدولة فناخسرو بن الحسن بن بُويه (ت372هـ/982م) أنّه " أقام البيماريستان" –بيت المرضى– " العَضُـــدي ببغـــداد...، وهو بيمارستان عظيمٌ ليس في الدنيا مثل ترتيبه." وأشار من ناحية أخـــرى إلى تشـــيُّع الســـلطان المذكور.[14]

ولئن كان الذهبي قد حرص على استنكار ما يظهره الشيعة من النوح واللطم في بغداد خلال يوم عاشوراء فإنه لم يُغفِل استنكار طريقة ردِّ بعض أهل السُّنة على ذلك؛ فذكر ضمن حـــوادث سنة 389 هـ / 999 م أنهم جعلوا " بإزاء عاشوراء يوما بعده بثمانية أيام نســـبة إلى مقتـــل " مُصعَب بن الزبير بن العوام (قتل في معركة دير الجاثليق بالعراق 73 هـ / 692م في قتال عبـــد الملك بن مروان.) أي أنهم جعلوا فيه من النوح واللطم كما تصنع الشيعة في يوم عاشوراء، وكرّر الذهبي استنكاره لما تقدم في عرضه حوادث سنة 402هـ / 1011م.[15]

ISSN: 1112 - 9573 EISSN: 2602 - 6325

وتراجم الذهبي لأعلام القرن (5 هـ / 11م) وما بعده تدلّ أيضا على عدم اكتفائه بذِكر المثالب في تراجم كثير من أعلام الشيعة؛ حيث قال – مثلا– ضمن ترجمة الحسين بن موسى بن محمد بن موسى العلوي البغدادي (ت400 هـ /1009م): "... و كان فيه دينٌ و خيرٌ وتعَبُّد على بِدعته." وقال عن الحسين بن عُبَيد الله بن إبراهيم البغدادي (ت411 هـ / 1020م):"... من كبار شيوخ الشيعة...، كان ذا زهدٍ و وَرَعٍ وحِفظٍ." ونقل في ترجمة المُحَدِّث محمد بن حمزة بن محمد التميمي الدمشقي (ت 415 هـ / 1024 م) قول أحد علماء الحديث عنه: " كان ثِقة يذهب إلى التشيُّع." وذكر أنَّ المُحدِّث الحسن بن محمد بن يحيى السامُرّي المُقرئ (ت408 هـ / 1017 م): " كان فقيها على مذهب الشافعي فاضلا، ولكن كان يتشيّع، قال " الخطيب البغدادي " مات بسامرّاء ... و كان يُرمى بالتشيّع." (16)

كما قال ضمن ترجمة أبي المكارم تاج الدين محمد بن نَصْر بن يحيى العَلَوي الشيعي (ت656هـ / 1285م) عامل الخليفة المُستعصم على إربل: "... كان من رجال العالم عقلاً ورأيًا و حَزْمًا وصرامةً وكان سَمْحا جوادا...". وقال في ترجمة الحسن بن زهرة بن الحسن بن زهرة العلَوي الحلبي (ت620 هـ / 1223م):"... رأس الشيعة وجاههم ... كان عارفا بالقراءات وفقه الشيعة والحديث والآداب ... وكان وافر العقل حسن الخلق والخُلُق ... صاحب ديانة وتعبُّد...". ونفى المُصنِّف التشيُّع عن أعلام اتُّهموا بذلك كقوله في ترجمة المُحدِّث نجم الدين الحسن بن سالم بن علي بن سلام الدمشقي (ت 642 هـ / 1244م): "... وقد نُسِب إلى تشيُّع و لم يصح ذلك."(17) .

مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا – مخبر التاريخ والحضارة والجغرافيا التطبيقية
– المدرسة العليا للأساتذة الشيخ مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي الجزائري – بوزريعة – الجزائر
ISSN: 1112 - 9573 EISSN: 2602 - 6325

المجلد: 11 العدد: 02 السنة: 2022 صفحات المقال: 32 - 54

ووصف الذهبي فتنة وقعت في بغداد سنة 482 هـ /1089م بما يدلُّ على إنصافه إذْ قال: "في صفر كبَس غَوْغاء السُّنة الكرخ" (محلة للشيعة في بغداد) "و قتلوا رجلا و جرحوا آخر، فأغلق أهل الكرخ أسواقهم .....". فوصف المهاجمين بـ" الغوغاء" (سفلة الناس) استنكارا لعملهم.[18]

3- مظاهر إنصاف الذهبي للمُعتزلة والأشاعـــرة:

لقد اهتمّ الذهبي اهتماما بليغا بالتحذير من مقالات المعتزلة[19] و ذمّ كثيرا من أعلامهـــم في مواضع كثيرة من كتابه، كقوله: "... إذا رأيت المُتكلِّم يقول: دَعْنا من الكتاب والسُّنة، وهات ما دلَّ عليه العقل فاعلم أنّه أبو جهل..." ووصفه لهم بـــ: "... رؤوس البِدَع " و"الضُّـــلال" وبـــــ "المُعَثَّرين"، وقوله: "...أبعد الله شرَّهم. " و: "...لا رُعُـــــوا . " ونحو ذلك. وعلّق على انتشـــار العقائد المنحرفة خلال النصف الثاني من (ق4 هـ / 10م) بقوله في حـــوادث ســـنة 272 هـ / 885م:"... وفي هذا الزمان كانت الأهواء والبِدع فاشية بمثل بغداد ومصر من الرفْض والاعتزال والضلال، فإنّا لله و إنّا إليه راجعون...".[20]

وقد أثنى على الخليفة العباسي المُتوكِّل (ت247هـ/861م) الذي لم يتَّبع سيرة الخلفاء المعتزلة (المأمون والمُعتصم والواثق) في القول بخلْق القرآن، وذكر أنّه " نشر السُّنة" (فصار العلماء يصرحون باعتقاد السلف في القرآن؛ وأنه كلام الله غير مخلوق) "واستقدم المُحـــدّثين إلى ســـامرّاء وأجـــزل عطاياهم وأكرمهم وأمرهم أن يُحدّثوا بأحاديث الصفات... وتوفّر دعاء الخلق للمُتوكِّل."[21]

و لم يفتر الذهبي على المعتزلة؛ فلم ينسب إليهم ما لا تتضمنه مقالاتهم، و لم يُغفل – مع شـــدّة تحذيره منهم- الإلمام بكافة جوانب الترجمة؛ فقال – مثلا- ضمن ترجمة المأمون: "... وبـــرع في الفقه والعربية وأيام الناس" و " كان من رجال بني العباس حزمًا وعزمًا و حلمًا... و رأيًا ودهـــاءً وهيبةً وشجاعةً... وله محاسن..." و" كان فصيحا مفوّها" وأما ذكاؤه فمتوقّد." وقال في ترجمـــة

أحمد بن أبي دؤواد بن حريز الايادي البغدادي المعتزلي (ت240هـ/854م) – الذي ولي القضاء للمعتصم والواثق–: "... وكان موصوفا بالجود والسخاء.... وغزارة الأدب...".[22]

وأبدى الذهبي في مواضع كثيرة من كتابه مخالفته لمقالات الأشاعرة، والأمثلة على هذا كثيرة منها قوله في ترجمة أحدهم: "... ليت نفسه قبلت منه، وتمسّكت بإمرار الصفات من غير تأويل." وقوله في ترجمة آخر: " كان مع دينه صاحب... قَلَبة وبِدعة رحمه الله." و لم يتأثر الذهبي– وهو شافعي– بالانتشار الواسع للعقيدة الأشعرية بين فقهاء الشافعية خلال(ق7-8 هـ /13-14م)، بل إن تمسّكه بمنهج أهل الحديث ظاهرٌ؛ وهذا من خلال تعاليق كثيرة مبثوثة في ثنايا التراجم، وبيّن تحامل بعض أشاعرة الشافعية (أشاعرة في الجانب العَقَدي وشافعية في الجانب الفقهي) على أعلام من أهل الحديث، على غرار تحامل بعض أشاعرة دمشق على تقي الدين ابن تيمية (ت728 هـ / 1327م)؛ إذْ سعوا (سنة 698 هـ / 1298م) في إيذائه لدى بعض قُضاة دمشق (تواصل سعيهم ضدّه فسُجِن سنة 705 هـ / 1305م).[23]

لكنّ الذهبي لم يُغفل ذِكر الجوانب الإيجابية في تراجم الأشاعرة، وتدلّ تراجم كثيرة على ذلك منها على سبيل المثال ترجمة أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني المعروف بإمام الحرمين (ت478 هـ /1085م)، وترجمة أبي بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني (ت406 هـ /1015م) وعز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم الدمشقي (ت660 هـ /1262م).[24].

مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا – مخبر التاريخ والحضارة والجغرافيا التطبيقية
– المدرسة العليا للأساتذة الشيخ مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي الجزائري – بوزريعة – الجزائر
ISSN: 1112 - 9573 EISSN: 2602 - 6325
المجلد: 11 العدد: 02 السنة: 2022 صفحات المقال: 32 - 54

4- مظاهر إنصاف الذهبي للصوفية و الفلاســـــفة:

لقد حذَّر الذهبي ضمن تراجم كثيرة جدّا من انحرافات الصوفية؛ فمِن أمثلة ذلـــك قولـــه أنَّ الصوفي إذا رأيته يقول : " دَعْنا من الكتاب والسُّنة والعقل وهات الذَّوق والوَجْد، فاعلم أنّه شـــرٌّ من إبليس ..."، وقوله: "...أسأل الله السلامة من تخبيطات الصـــوفية ...". و قـــال في ترجمـــة الحسين ين منصور الفارسي البغدادي الصوفي المعـــروف بـــالحلاَّج (ت 309 هـ /921م):"... قتلوه على الكُفر والحُلول والانسلاخ من الدين نسأل الله العفو...، ومن نظر في مجموع أمره علِم أنّ الرجلَ كان كذَّابًا مُمَوِّها...حُلوليا..."[25] وقال في موضع آخر:"... وظهر عنـــه بـــالأهواز وبغداد أنّه ادَّعى الإلهية...". كما ذكر أنَّ الخطيب البغدادي" قد هَتَك...حال الحلاّج في تاريخـــه الكبير وشفى أوضح أنّه كان ساحرا مُمَوِّها سيِّئ الاعتقاد." [26]

ومن الأمثلة الدالّة على اهتمام الذهبي بالتحذير من انحرافات الصوفية ترجمـــة علـــي بـــن أبي الحسن الحريري الصوفي (ت645 هـ /1247م)؛ حيث قال ضمنها بعدما أشـــار إلى اســـتهزاء الحريري بأوامر الشرع ونواهيه:"... وأما الحريري فكان مُتهتِّكا قد ألقى جلبـــاب الحيـــاء....، واشتهر مُروقه و اتّضح. وأبلغ ما يقوله في هؤلاء جُبناء العلماء أنَّ لكلامهم معاني وراء ما نفهمـــه نحن، مع اعترافهم بأنّ هذا الكلام من حيث الخطاب العربي كُفرٌ وإلحادٌ، لا يُخالف في ذلك عاقلٌ منهم، إلاّ من عاند و كابَر؛ فخُذ ما قاله الحريري في جزءٍ مجموعٍ من كلامه يتداولـــه أصـــحابه بينهم، قال: إذا دخل مُريدي بلد الروم وتنَصَّر وأكل لحم الخنزير ... كان في شُـــغلي. " ثمّ نقـــل الذهبي بعض أقوال الحريري، منها قوله لأتباعه: "... بايعوني على أن نموت يهود ونُحشَر إلى النار حتى لا يصاحبني أحدٌ لعِلّة. " وقوله: " لو ذبحتُ بيدي سبعين نبيّا ما اعتقدتُ أنّـــي مُخطـــئ." ثم علّق الذهبي فقال: " يعني: لو ذبحتهم لفعلتُ ما أراده الله منّي، إذْ لا يقع شيء في الكون إلاّ بإرادته سبحانه و تعالى." وقال رادّا عن الحريري: " وطرْد ذلك أنَّ الله أراد منّا أن نلعن قَتَلة الأنبياء ونبرأ

منهم ونعتقد أنّهم أصحاب النار، وأن نلعن الزنادقة ونضرب أعناقهم، و إلاّ فلأيِّ شيء خُلقت جهنَّم ؟ و اشتدّ غضب الله على من قتل نبيّا، فكيف بمن يقتل سبعين نبيا ؟ والله تعالى يُحبّ الأبرار ويبغض الفُجّار ويُخلّدهم في النار مع كونه أراد إيجاد الكفر والإيمان، فهو يريد الشيء، فإنّه لا يكون إلاّ ما يُريد، ولكنّه لا يرضى لعباده الكفر ولا يُحبّه...". وقال الذهبي أيضا بعدما ذكر كلاما شنيعا للحريري: "... وله من هذا الهَذَيان شيء كثير." كما قال عن أتباعه: " وسنّ أصحابه المحيى كلّ عام في ليلة سبعة وعشرين، وهي من ليالي القَدر، فيُحيون تلك الليلة بالدُّفوف ... والرقص إلى السَّحَر، اللهمّ لا تمكر بنا وتوفّنا على سُنَّة نبيّك."[27]

واشتدّ تحذير الذهبي من عقيدة وحدة الوجود[28] (وهي ذروة الانحراف العَقَدي)؛ فممّا يدلّ على ذلك قوله في ترجمة الشاعر عمر بن علي بن مرشد الحَمَوي المعروف بابن الفارِض الصوفي (ت632 هـ / 1234م):"... وديوان شعره مشهور... شانه بالتصريح بالاتحاد الملعون...، وها أنا أذكر لك منه أبياتا لتشهد بصدق دعواي، فإنّه قال – تعالى الله عمَّا يقول –" ثم ذكر أبياتا للصوفي المذكور. ونقل في ترجمة محمد بن علي المُرسي المعروف بمحيي الدين ابن عربي الصوفي (ت638 هـ /1240م) بعض كلامه في وحدة الوجود كقوله (ابن عربي) أنّ الذين يعبدون الأصنام إذا تركوا عبادتها " جهلوا من الحقّ على قدر ما تركوا من هؤلاء، فإنّ للحقّ في كلِّ معبودٍ وجها... فما عُبد غيرُ الله في كلِّ معبود. " ثم قال الذهبي: " تعالى الله عمَّا يقول علوًّا كبيرا، أستغفر الله وحاكي الكُفر ليس بكافر." وقال أنّ كلام ابن عربي هو " مَحْض الكُفر والزندقة. " وقال: "... فلمّا كان على رأس السبع مئة جدَّد الله لهذه الأمّة دينها بِهَتْكه وفضيحته...". وبيَّن الذهبي انحراف الحسن بن عدي بن أبي البركات الصوفي (ت644 هـ /1246م) فقال: "... ورأيت له كتابا في عشرة أبواب، أحد هذه الأبواب إثبات رُؤية الله تعالى في الدنيا عيانا، و أنّ غير واحد من الأولياء رأى الله عيانا، واستدلَّ على ذلك، فنعوذ بالله من الخذلان ...، و له ديوان شعر

مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا – مخبر التاريخ والحضارة والجغرافيا التطبيقية
– المدرسة العليا للأساتذة الشيخ مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي الجزائري – بوزريعة – الجزائر
ISSN: 1112 - 9573 EISSN: 2602 - 6325

المجلد: 11 العدد: 02 السنة: 2022 صفحات المقال: 32 - 54

فيه أشياء من الاتحاد." ثم ذكر الذهبي أبياتا و قال بعدها: " كَذَبَ وفَجَر قاتله الله أنّى يُؤفَك." وقال: " لا يكمل للرّجُل إيمانه حتى يتبرّأ من الحُلولية والاتحادية الذين يقولون أنّ الله سبحانه حلّ في الصُّوَر أو اتّحدت ذاته بذوات البَشر." وقال في موضع آخر مستنهِضا هِمم العلماء للإنكار على الاتحادية:"... فيا حسرةً على العباد كيف لا يغضبون لله تعالى ولا يقومون في الذبِّ عن معبودهم تبارك اسمه وتقدّس في ذاته أن يمتزج بخلقه أو يحلّ فيهم، وتعالى الله أن يكون هو عين السماوات والأرض وما بينهما...". كما قال مبيِّنا وجوب الإنكار على الاتحادية: "... فإنّي أخاف الله أن يعذّبني على سكوتي". وفي "تاريخ الإسلام" أمثلة أخرى كثيرة تبيّن حرص الذهبي على التحذير منهم ومن بقية الصوفية. (29)

ويتبيَّن لنا من خلال ما تقدَّم أنّ الذهبي قد حرص على التحذير من انحرافات الصوفية خاصّة القائلين بوحدة الوجود، وشمل نقده الصوفية الذين كانوا شافعية في الفروع وغيرهم، وهذا من مظاهر إنصافه. ولاحظنا وجود تعليقات قيِّمة للمُصنِّف من شأنها أن تجعل لكتابه منزلة علمية مرموقة.

و لم يجعل الذهبي الصوفية في منزلة واحدة نظرا لتباين طبيعة التصوف؛ فقد أثنى على بعض صوفية القرن الثالث الهجري (ق9 م) مثل سهل بن عبد الله يونس التُّسْتَري (ت283هـ/896م) حيث قال بعدما ذكر حرصه على الحديث: " هكذا كان مشايخ الصوفية في حرصهم على الحديث والسُّنة لا كمشايخ عصرنا الجَهَلة البَطَلة...". وأثنى على أبي نصر بِشْر بن الحارث البغدادي (ت327 هـ / 939م) المعروف ببِشْر الحافي حيث وصفه بـ " الزاهد الكبير"، وأشار إلى وَرَعه، و نقل ثناء بعض العلماء عليه، كما نقل كثيرا من أخباره.(30).

ISSN: 1112 - 9573 EISSN: 2602 - 6325

وبيَّن عدم صحة بعض الأخبار التي وردت في تراجم الصوفية، ومن أمثلة ذلك ذكره في ترجمة محمد بن حسان الغساني الصوفي المعروف بأبي عُبَيد البسري (ت بعد251 هـ /865م) خبرا نقله أبو عبد الرحمان السُّلَمي الصوفي (ت412 هـ / 1021م)، مضمونه أنّ البسري " إذا كان أوّل شهر رمضان يدخل البيت ويقول لامرأته: طيِّني باب البيت ، وأَلق إليَّ كلَّ ليلة من الطاقة رغيفا ...، فلمّا كان يوم العيد رفست الباب ودخلت فوجدت ثلاثين رغيفا موضوعة...، لا أكل ولا شرب ... بقي على صومٍ واحدٍ إلى آخر الشهر." وعلَّق الذهبي بقوله: " هذه حكاية بعيدة عن الصحة ... ذكرتها للفرجة لا للحُجَّة." كما أشار في ترجمة عبد القادر بن أبي صالح عبد الله الجِيلي (ت561 هـ / 1166م) إلى وجود كتاب قد صُنِّف في سيرته يتضمن " الصحيح والواهي والمكذوب "، حيث كُتبت " فيه حكايات عن قومٍ لا صدق لهم، كما حكوا أنّ الشيخ مشى في الهواء من منبره ثلاث عشرة خطوة في المجلس، ومنها أنَّ الشيخ وعظ فلم يتحرَّك أحد فقال: أنتم لا تتحركون ولا تطربون يا قناديل إطربي ... فتحرَّكت القناديل...". فإنكار الذهبي لهذه الأخبار يُعدّ موقفا إيجابيا.[31]

وصرّح الذهبي بذمِّ الفلاسفة، وحذَّر في عدَّة تراجم من مُصنَّفاتهم، ومن أمثلة ذلك قوله في ترجمة الرِّيوندي[32]: "... المُلْحد صاحب الزندقة ...، صنَّف في الزندقة لعنه الله ... وقد سَرَد ابن الجَوْزي من زندقته أكثر من ثلاث ورقات صُنْت هذا الكتاب عنها." ونقل الذهبي من كلام ابن الجَوْزي في ذمّ الرِّيوندي كقوله: "... له ... من الهَذيان البارد الذي لا يتعلّق بشُبهة...، وقد وضع كتابا لليهود والنصارى يحتجّ لهم في إبطال نُبوَّة نبيّنا صلَّى الله عليه وسلَّم." وترجم الذهبي ضمن وفيات عام 339هـ/950م لأبي نَصْر محمد بن محمد الفارابي الفيلسوف وقال عن تصانيفه: "... وله تصانيف مشهورة من ابتغى الهُدى فيها أضلَّه الله." كما قال بشأن فيلسوف آخر: "... وكان مُتفلسفا متّهَما برأي الأوائل.".

مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا – مخبر التاريخ والحضارة والجغرافيا التطبيقية
– المدرسة العليا للأساتذة الشيخ مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي الجزائري – بوزريعة – الجزائر
ISSN: 1112 - 9573 EISSN: 2602 - 6325
المجلد: 11 العدد: 02 السنة: 2022 صفحات المقال: 32 - 54

وقال عن الشاعر محمد بن هانئ الأندلسي(ت362 هـ /973 م):"...حامل لواء الشعر بالأندلس ...، وكان مُنهمِكا في اللذات والمحرَّمات متَّهما بدين الفلاسفة...". كما قال ضمن ترجمة فيلسوف آخر:"... صاحب المصنَّفات الكثيرة في علوم الأوائل لا رحمهم الله ...، وكان على اعتقاد الأوائل، صرّح بذلك نسأل الله العافية." وعلَّق على تصانيف أحد الفلاسفة بقوله: " سائر كُتبه فلسفة وإلحاد، نسأل الله السلامة في الدين." وفي "تاريخ الإسلام" أمثلة أخرى من هذا النحو.(33)

ورغم شدّة إنكار الذهبي على الفلاسفة إلا أنّه لم يُغفل الإلمام بكافة جوانب تراجمهم؛ فمن أمثلة ذلك قوله في ترجمة محمد بن الحسن بن الهيثم المصري (ت بعد421 هـ / 1030م):"...كان من أذكياء بني آدم، عديم النظير في عصره في العلم الرياضي...، وكان رأسا في أصول الطب وكلياته..." وقوله بشأن ابن هانئ الأندلسي: "... ليس يلحقه أحد في الشعر من أهل الأندلس." وقال ضمن ترجمة أحد الفلاسفة: "...مُناظر يتوقّد ذكاء." كما قال في ترجمة الوزير البُويهي محمد بن الحسن بن محمد المعروف بابن العميد (ت360 هـ / 971م): "كان آية في الترسُّل والإنشاء...".(34)

– 5– مظاهر إنصاف الذهبي للقدَرية:

اشتمل "تاريخ الإسلام" على تعاليق كثيرة مبثوثة في ثنايا التراجم تتضمن التحذير من القدرية؛(35) إذْ استنكر الذهبي كافة الانحرافات العَقدية، لكنّه مع ذلك لم يُغفل الإلمام بجوانب الترجمة؛ فمن تراجم القدَرية الدالة على ذلك ترجمة معبد بن عبد الله بن عُويمر الجُهَني (ت81هـ/ 700م)؛ حيث قال ضمنها: "أوّل من تكلم بالقدَر... وكان من أعيان الفقهاء بالبصرة." وقال في ترجمة المُحدّث أبي يسار عبد الله بن أبي نجيح المكي (ت131هـ/749م): "أحد الثّقات." كما

قال في ترجمة المُحدّث عبد الوارث بن سعيد البصري (ت 180هـ/796م): "أحد الأعلام...كان إماما حُجّة مُتعبّدا، لكنّه قدَري نسأل الله العفو." وقال بشان المُحدّث زكريا بن إسحاق المكي(ت بعد 151هـ /768م): "وقد اتُّهم في نفسه بالقدَر وهو ثقة."(35)

ونقل توثيق علماء الحديث لرواة من القدَرية؛ نجد هذا في عدّة تراجم منها ترجمة المُحدّث الهيثم بن حُميد الغساني (توفي حوالي189 هـ /805م)، إذْ قال ضمنها: "قال النسائي: ليس به بأس. وقال أبو داود: قدَري ثقة." كما أشار إلى اختلاف المحقّقين في توثيق بعض الرواة؛ مثل قوله بشأن المُحدّث أبي كنانة الوضين بن عطاء الخُزاعي الدمشقي (ت 147 هـ /764م): "وثّقه أحمد و غيره، وقال أبو داود: قدَري ... وقال أبو حاتم: يُعرَف و يُنكَر." وذكر الذهبي في ترجمة أبي العباس الوليد بن الوليد العنْسي الدمشقي (ت بعد 211 هـ /826م) أنّ الدارقطني قال بشأنه: "متروك" وأنّ أبا حاتم قال: "صدوق." (36)

الخاتمة:

لقد اهتمّ الذهبي باستنكار كافة الانحرافات العَقدية و الفكرية التي عرض له ذكرها، و حرص مع ذلك على إنصاف أهل الفِرَق، فتراجم " تاريخ الإسلام" تطفح بما يدلّ على ذلك؛ إذْ لم يكتف بذِكر المثالب في تراجم الشيعة، ونقل اختلاف أقوال علماء الحديث في بعض رواتهم، و لم يهمل مراعاة طبيعة التشيع، إذْ عرف هذا الأدى (منذ القرن1هـ/8م) تعمّقا متواصلا في الانحرافات. واستنكر بعض مظاهر ردّ أهل السُّنة في بغداد على انحرافات الإثني عشرية.

و لم ينسب الذهبي إلى أهل المقالات ما لا تتضمنه مقالاتهم، و رغم شدّة تحذيره من المعتزلة فإنه لم يُغفل الإلمام بكافة جوانب تراجمهم، وهذا نجده كذلك تراجم الأشاعرة سواء المعاصرين له أو من وفيات القرون السابقة. و يقف الدارس لـ "تاريخ الإسلام" على شدّة استنكار الذهبي

مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا – مخبر التاريخ والحضارة والجغرافيا التطبيقية
– المدرسة العليا للأساتذة الشيخ مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي الجزائري – بوزريعة – الجزائر
ISSN: 1112 - 9573 EISSN: 2602 - 6325
المجلد: 11 العدد: 02 السنة: 2022 صفحات المقال: 32 - 54

لانحرافات الصوفية والفلاسفة لكنّه لم يجعل المتصوّفة في منزلة واحدة نظرا لتباين طبيعة التصوّف، وأشار إلى عدم صحة كثيرا مما ورد في سير بعضهم.

وأبدى الذهبي في تراجم كثيرة استنكاره لمقالة القدَرية من جهة، ومن جهة أخرى نقل توثيق المحققين لبعض الرواة من القدَرية، وحرص على الاستيفاء في تراجم هؤلاء على غرار بقية التراجم. ومن خلال ما تقدم يتبيّن لنا أن الذهبي قد جمع بين نقد الانحرافات العَقدية و السلوكية وبين تحرّي الإنصاف من ناحية أخرى، واشتملت كثير من تعاليقه التي لم نذكرها على فوائد جمّة تتضمن إيضاح انعكاسات الحياة المذهبية على تاريخ الأمة، واستخلاص العِبر من الأحداث و التطورات التاريخية وضبط قواعد للنقد. وفي الجملة فإن الذهبي مؤرّخ ناقدٌ منصفٌ محققٌ واسع الأفق غزير العقل، ومُصنّفاته ذات منزلة علمية عالية.

الهوامش:

(1) – صلاح الدين الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج2، (تحقيق: أحمد الارنؤوط و تركي مصطفى)، ط1، دار إحياء التراث، بيروت – لبنان، 1422ه/ 2000م، ص 116، 117. ومحمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع، ج2، دار المعرفة، بيروت – لبنان، دت، ص 110. وشمس الدين الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج1، (تحقيق: بشار عواد) (مقدمة المحقق)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، 1425ه/ 2003م، ص 21، 22، 34، 42.

(2) – شمس الدين الذهبي، المصدر نفسه، (مقدمة المحقق)، ص71، 88. وعبد العزيز سالم، **مناهج البحث في التاريخ الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، د.ت، ص 90، 91

(3) – أبرز الأصول العَقَدية لأهل الحديث: الاعتماد على الكتاب (القرآن الكريم) والسنة النبوية كمصدرين معصومين وحيدين، تقديم النقل (الكتاب والسنة) على العقل مع التأكيد على عدم تعارضهما، الاعتقاد أنّ الإيمان اعتقاد بالجنان و قول باللسان وعمل بالجوارح وأنه يزيد وينقص، إثبات كل أسماء الله الحسنى وصفاته سبحانه الواردة في الكتاب والسنة دون تشبيه لها بصفات المخلوقين، موالاة الصحابة واعتقاد عدالتهم. (أنظر: حديد مختار، **أثر النزعة المذهبية في الكتابة التاريخية عند المؤرخين المشارقة خلال القرنين** (7-8هـ/ 13- 14م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة – الجزائر، 2019 ص4، 5، 6).

(4) – الرافِضة : أُطلق مصطلح الإمامية على الشيعة القائلين أنّ الإمامة (الخلافة) ثبتت بالنص في آل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم انشقّت الإمامية فبرزت طائفة الإثني عشرية، وعُرفوا بذلك لاعتقادهم بإمامة و عِصمة علي رضي الله عنه وأحد عشر رجلا من ذريته. وأُطلق على الإثني عشرية مصطلح الرافضة، حيث سُموا بذلك لّما رفضوا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أثناء حركته في الكوفة121ه/739م، إذْ فارقوه و لم يجعلوه من الأئمة لّما سألوه عن أبي بكر و عمر فترضّى عليهما. (أنظر: ربيع بن محمد، الشيعة الإمامية، ج3، ط2، مكتبة ابن تيمية، القاهرة،1414ه/ 1993م، ص 173. وناصر القفاري، **مسألة التقريب بين الشيعة والسنة**، ط2، دار طيبة، د.م، ص 108.)

(5) – شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ج2، ص 991. وج3، ص 456، 753.

(6) – المصدر نفسه، ج3، ص 753، 707، 872، 960، 961، وج5، ص 211.

(7) – المصدر نفسه، ج4، ص 322، 400، 430، 479، 580، 594.

(8) – المصدر نفسه، ج4، 443، 638، 640، 652، 653.

(9) – الدارقُطني: المُحدّث الحافظ المحقّق المشهور أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد البغدادي صاحب التصانيف، أحد الأئمة الأعلام، توفي سنة 385ه/ 995م. (أنظر: شمس الدين الذهبي، **العبر**، ج2، (تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، دت، ص 167.)

(10) – شمس الدين الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج5، ص 632، 644، 1089، 1090، 868، 869، 870، 261، 306، 863.

(11) – المصدر نفسه، ج 5، ص 243.

(12) – المصدر نفسه، ج5، ص 1153، 1154. وج6، ص 399، 400.

(13) – المصدر نفسه، ج7، ص 655، 656، 399. وج8، ص 84.

(14) – المصدر نفسه، ج8، ص 104، 377.

(15) – المصدر نفسه، ج8، ص 514. و ج 9، ص 10.

(16) – المصدر نفسه، ج8، ص 814. و ج 9، ص 194، 263، 128.

(17) – المصدر نفسه، ج14، ص 846، 407، 408. وج13، ص 596، 597.

(18) – المصدر نفسه، ج10، ص 470.

مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا – مخبر التاريخ والحضارة والجغرافيا التطبيقية
– المدرسة العليا للأساتذة الشيخ مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي الجزائري – بوزريعة – الجزائر
ISSN: 1112 - 9573 EISSN: 2602 - 6325
المجلد: 11 العدد: 02 السنة: 2022 صفحات المقال: 32 - 54

(19) – فِرقة ظهرت خلال النصف الثاني من القرن (2ه/ 8م) في البصرة على يد واصل بن عطاء البصري (ت131 هـ / 749م). ومن انحرافات المعتزلة نفي صفات الله تعالى و القول بخلق القرآن والاعتقاد أنّ مرتكب الكبيرة خالدٌ في النار. (غالب عواجي، **فِرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام**، ط4، المكتبة العصرية، جدة، 1422ه/ 2001م، ص 1166).

(20) – شمس الدين الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج3، ص 193. ج4، ص 866. وج5، ص 720. وج6، ص 966. وج8، ص 347.

(21) – المصدر نفسه، ج5، ص 745.

(22) – المصدر نفسه، ج5، ص 352، 353، 354، 759.

(23) – المصدر نفسه، ج13، ص 320. و ج9، ص 109. و ج15، ص 699، 700، 701. وعماد الدين ابن كثير، **البداية و النهاية**، ج14، (تحقيق: علي شيري)، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، 1408 هـ / 1988م، ص 43.

(24) – شمس الدين الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج10، ص 424. و ج9، ص109. وج 14، ص 933.

(25) – الحلول: الادّعاء أنّ الله تعالى يحلّ في الأجسام، تعالى الله عمّا يقول الظالمون علوّا كبيرا. (أنظر: أبو الحسن الأشعري، **مقالات الإسلاميين**، المكتبة العصرية، ج1، ط1، د.م، 1426ه-2005، ص225.)

(26) – شمس الدين الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج3، ص 195، 196. وج6، ص 815، 816. وج7، ص143، 144، 145.

(27) – المصدر نفسه، ج14،ص 519، 520، 521.

(28) – عقيدة وحدة الوجود عقيدة إلحادية مضمونها أنّ كلّ ما في الوجود هو الله عزّ وجلّ، و أن وجود الكائنات هو "عين وجود الله تعالى"، لا انفصال بين الخالق و المخلوق.....(أنظر: غالب عواجي، المرجع السابق، 994. وعبد الرحمان عبد الخالق، **الفكر الصوفي**، ط1، مكتبة ابن تيمية، الكويت، 1404هـ / 1984م، ص69.)

(29) – شمس الدين الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج14، ص 76، 77. وص ص276- 279. وص499، 500. وج15، ص168، 169، 170.

(30) – المصدر نفسه، ج6، ص ص 756 – 758. و ج5، ص 540، 541

(31) – المصدر نفسه، ج6، ص 237، 238. و ج5، ص 253، 354.

(32) – الفيلسوف أحمد بن يحيى بن إسحاق الرِّيوندي "صاحب الزندقة"، ثوفي حوالي سنة 300 هـ / 912م. عُرف بالاستهزاء بالله عزّ و جلّ و برسول الله صلّى الله عليه وسلم. والرِّيوندي نسبة إلى ريوند وهي قرية في نواحي نيسابور بخُراسان. (أنظر: المصدر نفسه، ج6، ص 902، 903. وعبد الكريم السمعاني، **الأنساب**،ج6، (تحقيق: عبد الرحمان المعلمي)، ط1، مكتبة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد- الهند، 1382ه/ 1962م، ص 223، 224).

(33) – شمس الدين الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج6، ص 902، 903. ج7، ص 731. وج8، ص 153، 209. وج9، ص 488. و ج12، ص ص 844 – 846.

(34) – المصدر نفسه، ج9، ص 488. و ج8، ص153، 209. و ج12، ص 844.

(35) – القدَرية هم الذين يخوضون في القدَر ويذهبون إلى إنكاره. وأول القدَرية هو – على الأرجح- مَعبد الجُهَني (ت80ه/ 699م). (أنظر: تقي الدين ابن تيمية، **منهاج السنة النبوية**، ج1 (مقدمة المحقق)، (تحقيق: محمد رشاد)، ط1، جامعة محمد بن سعود، الرياض-السعودية، 1486هـ / 1986م، ص9.

(35) – شمس الدين الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج2، ص 1002. وج3، ص 683. وج4، ص 688، 52.

(36) – المصدر نفسه، ج4، ص 995. وج3، ص 1005. وج5، ص 476.

– المصادر والمراجع:

– المصادر:

– أبو الحسن الأشعري، **مقالات الإسلاميين**، ط1، المكتبة العصرية، دم، 1426هـ/ 2005م.

– تقي الدين ابن تيمية، **منهاج السنة النبوية**، ج1 (مقدمة المحقق)، (تحقيق: محمد رشاد)، ط1، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض– السعودية، 1486 هـ / 1986م.

– شمس الدين الذهبي، **العبر**، (تحقيق: محمد بن بسيوني)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، د.ت.

– شمس الدين الذهبي، **تاريخ الإسلام**، (تحقيق: بشار عواد)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت –لبنان، 1425هـ / 2003م.

– صلاح الدين الصفدي، **الوافي بالوفيات**، (تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى)، ط1، دار إحياء التراث، بيروت – لبنان، 1422هـ / 2000م.

مجلة حوليات التاريخ والجغرافيا – مخبر التاريخ والحضارة والجغرافيا التطبيقية
– المدرسة العليا للأساتذة الشيخ مبارك بن محمد إبراهيمي الميلي الجزائري – بوزريعة – الجزائر
ISSN: 1112 - 9573 EISSN: 2602 - 6325

المجلد: 11 العدد: 02 السنة: 2022 صفحات المقال: 32 - 54

– عبد الكريم السمعاني، **الأنساب**، (تحقيق: عبد الرحمان المعلمي)، ط1، مكتبة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد– الهند، 1382هـ / 1962م.

– عماد الدين ابن كثير، **البداية و النهاية**، (تحقيق: علي شيري)، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، 1408هـ / 1988م.

– محمد بن علي الشوكاني، **البدر الطالع**، دار المعرفة، بيروت – لبنان، د.ت.

– المراجع:

– حديد مختار، **أثر النزعة المذهبية في الكتابة التاريخية عند المؤرخين المشارقة خلال القرنين (7–8هـ / 13–14م)**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة – الجزائر، 2019.

– ربيع بن محمد، **الشيعة الإمامية**، ط2، مكتبة ابن تيمية، القاهرة – مصر، 1414هـ – 1993م.

– عبد الرحمان عبد الخالق، **الفكر الصوفي**، ط1، مكتبة ابن تيمية، الكويت، 1404هـ/1984م.

– عبد العزيز سالم، **مناهج البحث في التاريخ الإسلامي**، دار شباب الجامعة، الإسكندرية– مصر، د.ت.

– غالب عواجي، **فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام**، ط4، المكتبة العصرية، جدة – السعودية، 1422هـ/2001م.

– ناصر القفاري، **مسألة التقريب بين السنة والشيعة**، ط2، دار طيبة، د.م.